AL-QUDS AL-ARABI
يومية - سياسية - مستقلة
القدس العربي
164-166 King Street
London W6 0QU
England
Tel: 020-8741 8000
Fax: 020-87418902
email : alquds@alquds.co.uk
الصفحة الأولى | شؤون عربية وعالمية | تحقيقات سياسية | صحف عبرية | أدب وفن | منوعات | رياضة وشباب | اقتصاد ومال | منبر | مقالات | رأي | الأخيرة

القدس العربي

2003 / 05 / 16

غياب الثقافة القانونية من ذهن المواطن العربي وضعف بني المجتمع المدني تركا المجال واسعا للديماغوجيا الحزبية وسلطة العسكر

الحرب الامريكية علي العراق: أين الخلل، وما هي الدروس المستفادة؟

أنطوان بصبوص: مدير مرصد البلدان العربية بباريس / التغيير مستحيل بدون حرية وإبداع

الخلل الذي أوصلنا إلي هذه الكارثة موجود منذ عشرات السنين، ولم يحدث في 9 نيسان (أبريل) الماضي فقط. لقد كان النظام العراقي مبنيا علي القمع والإرهاب ولم يكن الشعب مجندا وراء قيادته، لأنها خلفت منه قتلي ومعتقلين وأدت بآخرين إلي الفرار. في هذه الأجواء، ليس من السهل علي الشعب الوقوف في وجه غزو أجنبي. من الموقع الذي أنا فيه، أعرف أن عراقيين كثيرين كانوا يخاطبون الدول الغربية المعارضة للحرب مثل فرنسا ويقولون أنهم يريدون التخلص من صدام حسين. ومن جهة أخري، لم يعد العراق دولة وشعبا بالمفهوم العصري، فقد غدا ملكا لأبناء تكريت وعشيرة صدام وأصبح بلدة بل قبيلة، وسهل ذلك الخيانة وجعلها تنتشر بشكل كثيف.

العالم اليوم يؤمن بالحرية، والمجتمع المدني والمؤسسات، ولم تعد الاعتبارات القبلية صالحة لقمع الشعوب ودفعها إلي التضحية من أجل دكتاتور برنامجه السياسي الوحيد هو البقاء في الحكم مدي الحياة ثم نقل السلطة لأبنائه بعد مماته. النظام القديم أصبح عاجزا عن مواجهة العالم المعقد، وهذا لا زال ينطبق علي أكثر من نظام عربي. من السهل اليوم تركيب هوائية فضائية للإطلاع علي ما يجري في العالم عبر التلفزيون. إننا نكاد نجد اليوم في كل عائلة عربية فرد مهاجر في دولة غربية، يقول الحرية التي يتمتع بها. إنك تصل إلي الغرب لاجئا، وفي غضون خمس سنوات تبدأ في شراء منزل، وتملك سيارة وتبني أسرة وقد تحصل علي جنسية البلد الذي تقيم فيه أيضا. العالم العربي اليوم مغلق أمام كل هذا التطور، والأنظمة يسود عليها رجال خطفوا السلطة بالقوة، ويمارسون الحكم بنفس القوة والعنف. إن الشعوب العربية أصبحت لا تقبل ذلك، ولو أعطيت التأشيرات بسهولة للمواطنين العرب ليهاجروا إلي الغرب، فإن نصفهم سيترك الوطن طمعا في الحرية، والاحترام، والمجتمع المدني ومن أجل مستقبل أفضل.

يجب علي الحكام العرب أن يفهموا بأن النظام الذي قام بعد الحرب العالمية الثانية وفي مطلع الاستقلال لم يعد صالحا. المواطنون العرب يريدون التمتع بالحد الأدني مما يتمتع به الإنسان في الدول الراقية والدول التي تحترم نفسها وتحترم الآخرين. لا يجوز أن يبقي العالم العربي خارج نظام الحريات العامة والمجتمع المدني. إن بقاء الحاكم في السلطة مدي الحياة ونقله للأبناء هو احتقار للشخص العربي الذي لا يرضي بذلك. لقد آلمني كثيرا هتاف مليون شاب في شوارع الجزائر بكلمة "فيزا" للاحتفال بوصول الرئيس الفرنسي جاك شيراك في آذار (مارس) الماضي. إن الطقس في الجزائر العاصمة أجمل منه في باريس، فلماذا التفريط في أشعة الشمس بهذه السهولة؟

علي المثقفين العرب أن يراجعوا ما حصل في العراق وأن يستخلصوا منه العبر اللازمة. الأنظمة "الوطنية" التي كانت تقمع الشعوب باسم الوطن وفلسطين، وتصادر الحريات، وتمنع التعليم والصحة الجيدة والسفر عن مواطنيها وتقيد كل شيء، سقطت. التجربة الإسلامية كذلك سقطت، وربما تكون هناك تجربة أخري نابعة من الحريات والنظام الديمقراطي. يستحيل تطبيق الديمقراطية البريطانية، والأمريكية والفرنسية في الأوطان العربية بين عشية وضحاها، فهي لا تنشر في الجريدة الرسمية وتطبق في اليوم التالي. يجب أن توجد الثقافة الديمقراطية في المجتمعات في شكل أحزاب، وجمعيات ونقابات. هكذا يمكن بناء مجتمع ديمقراطي يجعل المواطن العربي يرفع رأسه ويعبر عن ذاته. يستحيل الإبداع عندما تكون الحرية مقيدة، وعلي الأنظمة أن تمنح الحرية لمواطنيها عساهم ينافسون المبدعين الآخرين في العالم.

التحقت كل أوروبا الشرقية بالنـــظام الديمقراطي عنـــدما سقط جدار برلين في 1989، وهناك دول إفريقـــية سوداء التحقت بهذا النظـــام أيضا، وتم تغيير الحكام فيها بواسطة صناديق الاقتراع. فلماذا لا زال العرب وحدهم يرفضون تطبيق هذه الأساليب في مجتمعاتهم؟ علي النخبة أن تراجع ما حدث في الخمسين سنة الماضية، ولا أري شخصيا فيها أشياء إيجابية، فقد أفقر الحكام شعوبهم وخسروا كل الحروب التي قاموا بها. منعت الصحف من التعبير بحرية باسم محاربة إسرائيل، وتعددت الموانع باسم قضية كبري مزعومة. الأنظمة قمعت شعوبها باسم فلسطين وهي التي ذبحت فلسطين أكثر من إسرائيل نفسها. هذه الدولة التي تحارب العرب منذ سنين طويلة لم تمنع الحرية عن مواطنيها ونجحت في ذلك، فلماذا يحرم العرب من الحرية باسم فلسطين؟

أمامنا الآن كمثقفين عرب أسئلة كثيرة، أهمها: متي ينتهي عهد الديماغوجية؟ نريد حريات ومجتمعا مدنيا، نريد إصلاحات، نريد معارضة حقيقية لا مخترقة من طرف المخابرات.